الشاعر الإيرلندي شيموس هيني في «منطقة ودائرة»:

عن عنف العالم .. التحرك في دائرة حول الكون والبحث الدائم عن مناطق الرعي الأولى وطرقات الحديد

ابراهيم درويش*

■ الشاعر الايرلندي المعروف شيموس هيني، واشهر شاعر حي باللغة الانكليزية، يهتم بالعنف، الماضي والمنفى، ويوسع ارض المنجز الشعري والقلق من المحلية الى العالمية في مجموعته الشعرية الجديدة. خلال اربعين عاما اصدر هيني 12 مجموعة شعرية اولاها مجموعته المهمة «موت الطبيعي» 1966، ومجموعته الاخيرة «منطقة ودائرة» تأتي بعد خمسة اعوام من مجموعته «ضوء كهربائي» (2001)، في هذه المجموعة، يعود هيني الى اماكنه المعروفة، اناهورش (مدرسته)، موسبـاوم (مزرعة والده)، حقول البطاطا، وذكرى الاب والاخ الذي دهسته سيارة ولما يبلغ من العمر اربعة اعوام. في الماضي كان الشاعر مشغولا بعنف الحياة في موطنه ايرلندا، وعبر عن الانقسام الحاد في الحياة الايرلندية، وعن التوتر داخل المجتمع قبل ان يرحل جنوبا ويعيش في دبلن في ايرلندا الجمهورية.

هيني عرف في هذه الفترة بتعامله مع القصيدة والفكرة الشعرية كوسيلة للحفر الاركيولوجي، وهناك دائما ربط بين الكفاح عبر حفر البطاطا بالفأس والكفاح من خلال القلم، صورة شعرية جميلة توازن بين حفر الابن/ الشاعر عن الكلمة، والاب/ المزارع الباحث عن البطاطا. في العقود الاخيرة وسع هيني اهتمامه اكثر حيث ضم الى ايرلندا اوروبا المتوسطية، والان في هذه المجموعة الجديدة يوسع الدائرة لتشمل عنف العالم، فالمنطقة هي العالم والدائرة المرسومة حولها هي مدار الشاعر الذي يتحرك فيه، نشعر بالعنف في القصيدة الاولى «آلة تقطيع وهرس اللفت» حيث يصفها وهي القائمة على اربع ومغلفة بالحديد الصلب، «حارة اكثر من حر الجسد في الصيف، باردة في الشتاء» ولكن الالة تتحول عند هيني لرمز ميتافيزقي، «هكذا ينظر الرب للاشياء في العالم، وفي الوقت الذي تلتهم فيه الالة رؤوس اللفت، خالقة فوضى فالنيتجة هي سلة مليئة بالشعاع».

بهذه الطريقة يفتتح هيني مجموعته موسعا دائرة اهتمامه بالعالم في حقل من الموضوعات الواسعة التي تتحدث عن عنف العالم وغياب السلام، ومع ذلك تظل ايرلندا ـ الذاكرة والوعي في مركز عالمه الشعري فهو بمثابة المرجع والنقطة التي ينطلق منها في حركة دائرية حول العالم، هنا، بناء وجندي، جنود امريكيون في اناهورش يتدربون ليوم الانزال في الحرب العالمية.

مفردات هيني تظل محلية، فهو يهتم بكل ما يستخدمه الفلاحون وابناء منطقته، في قصيدة «ارتجافة» يصف كيف يقوم رجل بالتلويح بمطرقة ثقيلة، ويركز هيني هنا على خداع وجاذبية اللحظة ويتساءل «هل يفيدك/ ان تعرف انها موجهة مباشرة الى عظامك، تمسك بها بعناية/ الارض الصلبة تختفي من الرعب، وترتجف في يد المطرقة». في قصيدة «اي شيء قد يحدث» هنا يوسع هيني جغرافيا العنف «اي شيء قد يحدث/ اطول برج/ قد يقلب... رأسا على عقب»، هيني يبدع عندما يتحدث عن العنف، ولكنه ليس معنيا برعب العنف بقدر ما يشير الى جاذبيته. وهذا الملمح ليس جديدا في شعرية هيني فهو في تناوله للعنف يبدو حذرا ولكن ليس عنيفا. والعنف وتجلياته يبدو واضحا في قصائد هيني، حيث استجاب الشاعر للعنف الذي كان يدور حوله، سواء كان هذا العنف فرديا، محليا او عالميا، ودائما ما تحدث هيني عن احساسه المبكر والحدسي بالخطر، فالسلاح والعتاد ظهرا في السابق في اشعاره ولكن ما يميز هذه المجموعة ان دائرة اهتمام هيني بالعنف توسعت لتشمل القرية العالمية، منذ فترة استبدل هيني المقاطع الشعرية القصيرة بالسطور الشعرية الطويلة، وتبدو القصائد مثل «سونيتات»، وهناك ايضا ثلاث حركات شعرية من قصيدة النثر، اضافة لغنائية رعوية خاصة يحافظ عليها هيني في معظم منجزه الشعري، وكلما اقترب القارئ من نهاية المجموعة اصبحت القصائد خفيفة، تحاول استكشاف ارض شعرية متشابهة ولكن اهمية عمل هيني الجديد تكمن في نظراته العميقة والمتعددة الجوانب لعنف العالم. وما يميز عمل هيني الاخير هو احتفاؤه بالذاكرة، وملاحقته لارواح الشعراء، فهم احياء قادرون على التعبير عن مشاكل عصرنا الحالي، هنا ينشر هيني الاسماء، مترجما، ومستعيدا، من وردزورث، سوفوكليس، كفافي، ميلوش، نيرودا الى ريلكة وهوراس.

المشكلة الوحيدة التي تواجه قارئ هيني العادي على الاقل ان كثيرا من الشعراء غير معروفين له وهو اي القارئ مجبر على استكشاف ارض غير معروفة. هيني الذي يحاول دائما استعادة الماضي بدون نوستالجيا، يعرف ان من حقه الشخصي العودة الى شعرائه المفضلين وان كان القارئ غير عارف بهم. في تجربة هيني الماضية حاول دائما استعادة او احياء الكثير من الاعمال الشعرية القديمة لعل اهمها ترجمته للملحمة الانكليزية القديمة «بيوولف»، وقبلها ترجم لسوفوكليس ودانتي، ولكن شعراء هيني لا يتوقفون عند هذا فجورج هربرت سبنسر وقصيدته «صلاة» تحضر في لحظة شعرية مفاجئة، اودين، سيزلوا ميلوش، وكفافي كلهم يحضرون في هذه الرحلة الدائرية حول العالم. ومع ذاكرة الشعراء يوازن الشاعر بين فكرة المنفى والفقد عندما يراوح بين مركز عاله في قريته موبساوم حيث مزرعة والده وبين رصده لحركة العنف في العالم، فالجنود الامريكيون الذين يقدمون الحلوى والعلكة للصغار في اناهوريش يصلون في الوقت الذي كان فيه المزارعون يذبحون الخنازير ويتدفق الدم منها. في قصيدة «اناهوريش 1944» يقول عن الجنود الامريكيين «الى اين كانوا متجهين، يقفون هناك مثل الشباب، عندما رموا العلكة وانابيب ملونة من الحلوى».

هيني في معالجته لرعب العنف، ارهاب الحرب لا يتخذ مواقف ويتجنب المواقف الدوغمائية او المواقف الجاهزة في هذا السياق. كتب هيني مرة ان الشعر يبدأ بالفرح وينتهي بمعرفة الذات. والمجموعة الشعرية الجديدة تضيف الى هذا الرصيد، فالشاعر يعود في نهاية الرحلة وبعد اربعين عاما الى المكان الذي سقط فيه شقيقه عندما ضربته سيارة مسرعة، ويزور قبر والده، هنا يحتفل هيني بقوة الذاكرة وليس باعتبارها صورة عن الغياب والفقد، ولكن باعتبارها ارضا للاستعادة والتجلي.

«منطقة ودائرة» هي مرحلة اخرى في شعرية هيني، يؤكد فيها سلطته الشعرية، وسلطة اللغة، حيث تفصل بينه وبين مجموعته الاولى أربعون عاما، والربط بينهما واضح وهو العودة الى ذكريات طفولته في ايرلندا الشمالية، وعلى خلاف الاولى التي كانت تتمحور حول السياسة المحلية التي حاول هيني ان لا يكون طرفا فيها، فالجديدة تتخذ من العالم اطارا، امريكا والعالم، تماما كما كان كاونت ديري، وسوق المواشي يوم السبت سابقا. بعد نجاحه الشعري الاول اعتبر هيني بانه ممثل لما اسماه البعض «الاحياء الشمالي» الا انه كان ضجرا بهذا الوصف وبعد نشر مجموعته الرابعة «شمال» قرر الرحيل جنوبا الى دبلن، وكما اشار في لقاء صحافي ان ما يشغل هذه المجموعة الشعرية على الاقل من وجهة النظر الامريكية هو اختراق الجدران، ورضوض الامن الذي انتهى. وهي عن العالم الذي لم يعد موجودا، فالشاعر الذي يقترب من السبعينات يرى ان ايرلندا التي يعرفها لم تعد موجودة الا في ذكرياته، وكلما كبر الانسان كلما اصبح واعيا بذاته.

يحتفل هيني بالدهشة، اليومي والتجدد، ففي الحركة الاولى من قصيدة «الصغار الكبار» يلتقي واحدا من اصدقائه في المدرسة، دافي، حيث اكل «علقة» مع عدد من الطلاب لانهم تحدثوا في اشياء خاصة عن النساء اعتبرتها مس وولس «بذيئة»، في الطريق دافي يرفع عكازه بالهواء ويداه مفتوحتان قائلا «بحق المسيح هل ترغب في علقة اخرى». يستحضر هيني الشعراء مع شعراء آخرين، كفافي مع سوفوكليس «نعم قال القنصل، السطر صحيح وجميل، سوفوكليس في اعلى حالاته الفلسفية...»، تيد هيوز الشاعر وصديق شاعرنا، يحضر مع ت. اس اليوت، يقف هيني على حافة الميناء يراقبه وهو يجذف ولكن التجذيف لا يحركه الى مكان، فهو يراوح مكانه. الشاعر دبليو اتش اودين، يحضر هنا من خلال تذكر هيني، مدفأة قديمة، القديم، الماضي يستحضر في اكثر من وجه، قصيدته «اي شيء قد يحدث» تكتشف انها مترجمة عن هوراس. في معجم الاشياء التي يعود اليها يحضر الحديد كرمز قوي عن عمليات الصقل، اعداد الفؤوس «قصيدة شاعر لحداد» المترجمة عن الشعر الايرلندي، ويستخدم الحديد، كمجاز عن الصوت، عن الخوذة التي يلبسها العسكري، عن المطرقة التي يتوازن صداها مع قرع اجراس الكنيسة معلنة عن ميلاد مئوية جديدة «مطرقة منتصف الليل»، «مع اني لم اكن موجودا هناك، عندما طرق بارني ديفلين، مطرقة منتصف الليل، فلا زلت اسمع، اثنا عشرة طرقة، اعلنت المئوية»، «ابن اخيه سمعها في ادمنتون والبرتا، الهاتف النقال حمله عاليا مثل اذني حصان، بارني كان يضحك مع نفسه.....»، الحديد هو عن حالة التحولات والصقل، عن رؤى الماضي، فالفلاح يفلح الارض بالحديد والجزار في المزرعة يذبح المواشي بالحديد، والحديد هو الذي انهار في مبنى التجارة العالمي وفي انفاق لندن، وما بقي سوى خوذة رجل اطفاء مرمية على رف. في قصيدة «التفاتة» يوازن هيني او يفارق بين صور العنف السياسي وذبح الحيوان، يبدأ القصيدة برسم صورة حية عن جزار القرية الذي قد يكون والده، حيث يجتمع الناس في صفوف ليلة السبت امام دكانه المليء بانواع من اللحم البقري الاحمر، والمقطع باكثر من وجه، وارتال اللحم الملفوفة بورق الجرائد، ومع انسياب الدم او ما تبقى منه من اللحم، في نفس الليلة، ليلة السبت الرجال بالبنادق يتدفقون نحو المدينة واحيائها ببنادقهم، يستعرضون صعودا ونزولا، بعضهم يلتفت نحو ابيه، بطريقة تشي انهم كانوا يصوبون عليه واخطأوا الهدف...

مع بابلو نيرودا يستحضر هيني «تاملغداف» التي جاء منها اشهر صبي يعلن اضرابه عن الطعام، ويوازن هنا بين حالة ارضية، ترابية «نيال فيتز داف احضر مرطباناً من مربى التفاح البري، عمل من تفاح شجرة نبتت عند قرنة داف، ولا تزال عند قرنة داف، شجرة لم ار عليها ابدا تفاحا بريا...» ولكن «يا بابلو الارضي، عندما ذقت المربى، كان طازجا وارضيا، عدت الى شارع حفرته العربات، اقوم بدورة حول المنطقة...» بعدها يتبدى وجه بابلو في القصيدة «مدورا مثل حشد من الناس...». شيموس هيني اكاديمي وشاعر، وقراءة شعره تحتاج لمعرفة لغوية وثقافية بالموضوعات التي تحفل بها قصائده وهو في خياراته اللغوية وان حاول استكشاف اسرار اللغة الا انه يغرس اللغة بميثولوجيا ايرلندية، هذا لا يعني انه يكتب تاريخ بلاده بالانكليزية ولكنه يعود دائما الى النبع الصافي الذي شكل رؤاه الفكرية والثقافية مذ كان طفلا ابن مزارع وبائع مواش. في مجموعته الاخيرة غنائية جميلة، ليست رعوية او ريفية ولكنها تعبر عن صوت الحاضر والعالم الذي صار كبيرا، اكبر من مدى القرية الايرلندية. هيني وان تحدث عن ملح اليوم والآني الا انه مشغول بألغاز هذا النشاط اليومي.

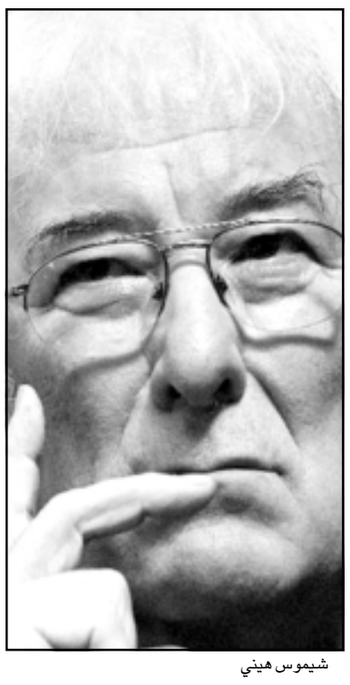

شيموس هيني

ولد سيموش هيني في 1939/7/17 لباتريك وكاثلين مارغريت هيني في مزرعة اسمها موسباوم في مدينة تمانيارين في مقاطعة كاونت ديري شمال ايرلندا. هيني هو الاكبر بين تسعة اولاد سبعة ذكور وبنتين. وكان والده يعمل في الزارعة ويتعاطى بالمواشي « جلاب».

بين 1945 ـ 1951 درس هيني في مدرسة «اناهورش» وما بين 1951–1957 ذهب لمدرسة داخلية في «سانت كولب»، وحينما بلغ سن الرابعة ع شرة من عمره انتقلت العائلة من مزرعة الى مزرعة والسبب في هذا التنقل هو حادث السيارة الذي اودى بحياة اخيه كريستوفر والذي خلده هيني في قصيدة بعنوان Mid Term Break «عطلة نصف السنة الدراسية».

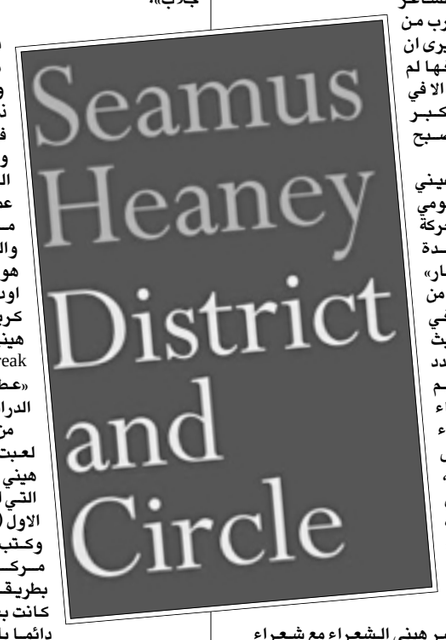

من الشخصيات التي لعبت دورا هاما في حياة هيني وطفولته عمته ماري التي اهدى اليها ديوانه الاول (NORTH / شمال) وكتب يقول عنها «كانت مركزا للحنان ولا اقول بطريقة او بأخرى ان امي كانت بعيدة فهي مشغولة دائما بالاولاد ولكن وظيفة ماري كانت دائما العطف، وكما يقولون فان امرأتين في حياتي امي وماري كانت كأم ثانية».

كل شيء كتبه هيني عن الطفولة التي تعزز مشهد الحب المحلي، ودفء الحنان الذي يتمظهر في هذا المناخ وهذا ما لاحظته زوجته حينما زارت المزرعة لأول مرة حيث وصفت الترابط العائلي بانهم يشبهون «البيضة وقشرتها». منذ البداية كان لدى هيني وعي بالحدود، الحدود التي تفصلها قناة او نبع، والانقسام كان يجري قريبا من بيته، قسم من مدينة تاماناريان وقسم بقية المناطق المحيطة والقريبة منها ويكتب قائلا «كنت اذهب جيئة وذهابا الى مدرسة «اناهوريش».

منذ البداية كان لدى هيني الاحساس والتنازع في مكانين / شعورين فهو يشعر بانه منزوع من المكان او انه يعيش خيارين. هذا «البين» كان نوعا من الظروف التي تظهر نفسها منذ البداية. في مجموعة مقالاته التي جمعها هيني تحت عنوان «انشغالات (1972) تحدث عن الوعي بالانقسام الذي ادى به الاشتقاق من اسم موسباوم نفسها بمعانيها وربما الغالية/ الاستكلندية مجاز عن ثقافة الانقسام في الستر، موقع قريب من بيل نومبيرج المكان الذي شنق فيه الثائر رودي ماكولي في عام 1798، وعليه فان هذه الموقع تحله في رمزيا في الشمال الكاثوليكي بين وعلامات القونين وعلامات الاستعمار البريطاني.

كان هيني واحدا من الذين انتفعوا بقانون التعليم لسنة 1947 القانون الذي جعل التعليم اجباريا على كل سكان القرى الزراعية والريفية في شمال ايرلندا، ودخل هيني مدرسة كلية «سانت كولب» وكان هذا القانون بشكل عام مسؤولا عن مناخ «التنفيس» السياسي لسنوات 1960 حيث تخرجت النخبة السياسية والادبية مثل هيني، جون هيوم و ايمنون ماكان.

في سنة 1958 ذهب هيني الي جامعة «كوينز» لدراسة الادب واللغة الانكليزية وحصل على بكالوريس في الادب الانكليزي بتفوق في عام 1961.

شكلت مرحلة الجامعة بعدا جديدا في حياة هيني، حيث اتخذ الاحساس بالثقافة المنقسمة شكلا جديدا، فالجامعة اعطته احساسا خاصا بالطفولة وذكرياتها خاصة دراسة الادب.

في عام 1962 بدا هيني التدريس في مدرسة «سانت توماس المتوسطة» في الستر/ بلفاست، وكان مدير المدرسة كاتب قصص قصيرة، وهو الذي قدمه لاعمال الشاعر الايرلندي باتريك كافانا، وأعطاه نسخة من ديوانه الشهير «الجوع العظيم» 1942 و« روح الابحار» 1947 باجوائهما الريفية، هذه المجموعات عكست تجربة فريدة في الشعر الايرلندي، قريبة من اجواء ومناخات موسباوم، وسيظل كافانا واحدا من النقاط المرجعية الهامة في شعر هيني. وتحدث في هذا السياق لكارولين ويلش «ان انجاز كافانا يكمن في جعله الثقافة الهامشية مصدرا ثقافيا هاما، يعطينا صورة عن انفسنا»، ويبدو اثر كافانا الاولي واضحا في قصيدة «التراكتور» 1962 التي نشرها هيني في جريدة «بلفاست تلغراف».

في سنة 1971 عاد هيني الي ايرلندا حيث ازداد الوضع سوءاً، فاستقال من وظيفته وهاجر جنوبا الى ايرلند الجنوبية / الجمهورية، وقدم عدة اسباب لهجرته ولاستقالته، اسباب تتعلق بالفن، السفر والسياسة ربما لانه لم يكن يريد ان يظل اسير الحياة والعمل، وفي «انشغالات» كتب هيني قائلا «اريد وضع تجربة الشعر بشكل مدروس في مركز حياتي، ذلك الخيار كان نوعا من الامتحان له محددات رمزية».

في ايرلندا استقر هيني في «كلاكو» في شقة تعود لباحثة كندية حيث بدا العمل على نسخة من قصيدة طويلة عن ايرلندا في العصور الوسطى «سويني المجنون». في عام 1980 قدمت له جامعة هارفارد منحة للتدريس فيها حيث قسم حياته بين العمل في ايرلندا وهارفارد، التي يشرف فيها على ورشة عمل شعرية، ويقدم نصائحه للطلاب حول الشعر وماهيته، ونظريته.

من الشعراء المعاصرين الذي صادقهم هيني ثلاثة، جوزيف بردوسكي، والبولندي سيزلو ميلوش وديريك ويلكوت.

سنة 1980 كانت غنية في مجال الانتاج، نشرت مجموعات مختارة وقصائد نثرية، مجموعة مقالاته «انشغالات/ اهتمامات»، في عام 1982، حرر مع تيد هيوز مجموعة شعرية للاطفال (Rattle Bag)، في عام 1983 نشر مجموعته الشعرية «سويني المجنون» وكذلك مجموعة « الجزيرة المحطة». في عام 1984. مجموعتا هيني «باب في الظلام» و«موت الطبيعي» بنيا اساسا على عالمه الاول/ الطفولة في الريف وشبابه في كاونت ديري مع ان هذين العالمين يحضران في كل نتاج واعمال هيني اللاحقة، ولكن «باب في الظلام» و«موت الطبيعي» تحاولان اكتشاف هذا العالم بطريقة خاصة، ويمكن اعتبار «باب في الظلام» ديوان يشير الى نقطة تحول هامة، ومحطة مهمة في التجربة الشعرية. بعدها نشر هيني اعمالا اخرى مثل «مستوى الروح»، «بيوولف»، و «ضوء كهربائي». حاز هيني على جائزة نوبل للاداب عام 1995.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

«ذاكرة الكتابة» تعيد نشر مذكرات محمد عبده وطاهر الطناحي يتهم رشيد رضا بالسطو على أفكار الإمام

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمود قرني:

صدر عن سلسلة ـ ذاكرة الكتابة ـ التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة عددا جديدا يحمل مذكرات الإمام محمد عبده التي حققها الكاتب الراحل طاهر الطناحي، وكان الكتاب قد صدر في طبعته الاولي قبل عدة سنوات عن سلسلة كتاب الهلال.

ويعتبر هذا التحقيق هو الكتاب الثالث من المجموعة الاسلامية لتراث محمد عبده الذي قدمه طاهر الطناحي، فقد سبق له ان قدم وحقق كتابي الإمام ـ دين العلم والمدينة ودروس من القرآن الكريم.

ويقول الطناحي في تقديمه ان معرفته بحافظ ابراهيم ورشيد رضا والشيخ مصطفي عبد الرازق وابراهيم الهلباوي وهم جميعهم من اصدقاء وتلاميذ الإمام محمد عبده منحته الفرصة على ان يقف على أدق التفاصيل التاريخية والعلمية والأدبية والوطنية والوطنية في حياة الإمام.

كذلك يشير الطناحي الى ان الإمام حسين توني في سن السادسة والخمسين لم يكن قد أتيح له أن يجمع ما بحث وكتب من مؤلفاته كما فعل كثيرون من رجال العلم والأدب والاصلاح، فقام تلميذه المرحوم محمد رشيد رضا بجمع الكثير من كتاباته في الوقائع الرسمية وفي مجلة «المنار»، وفي جريدة «العروة الوثقى» التي كان يصدرها مع السيد جمال الدين الافغاني في باريس، وتضيف المقدمة ان رضا نشر طائفة من تفسيره للقرآن ودون لها تاريخا جمع فيه الكثير من الابواب ولم يخرج للناس هذا التاريخ الذي اسماه ـ تاريخ الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ الا في عام 1931 أي بعد وفاة الإمام بستة وعشرين عاما، وقبل وفاته هو ببضع سنوات.

ويعلل الطناحي ذلك بضيق الوقت وكثرة النفقات لطبع مثل هذه الاعمال وهو ما اضطر الشيخ رشيد ان يجمل تاريخ الإمام ويدمج سيرته في سيرة السيد جمال الدين الافغاني ويضم حياته الشخصية الى حياته الدينية والسياسية، ويدخل حياته العلمية في حياته الاجتماعية، ويضيف فتاويه الى آرائه الاصلاحية ويخلط مذكراته الوطنية وكتاباته عن الثورة العرابية وآرائه في محمد علي واسماعيل، وتوفيق، وأعوانهم في مجموعة اخرى مما ليس فيها، ثم يطبع هذه الاعمال مجتمعة في جزء واحد يقع في ألف وواحد وخمسين صفحة. ويقول الطناحي في مقدمته مردفا: ان دوافع هذه الترجمة المزدحمة المتداخلة انه كان على عرش مصر أبناء محمد علي واسماعيل وتوفيق فلم يكن في مقدوره ان يخرج للناس حياة الإمام اخراجا ترضى عنه الحقيقة ويرضى عنه التاريخ.

ويؤكد طاهر الطناحي ان الشيخ رشيد عمد الى شيء لم يسبق اليه مترجم لحياة عظيم من عظماء التاريخ، ولا لتلميذ يكتب عن تاريخ استاذه، فقد وضع تاريخ الشيخ محمد عبده وما قام به من أعمال، وكأنه يضع تاريخا لنفسه ايضا، ويبرهن الطناحي على ذلك مردفا: انك قد لا ترى فصلا أو بحثا للسيد رشيد رضا عن الإمام الا وقد أشرك فيه نفسه، وكأن حياته جزء من حياة الإمام.

ويؤكد طاهر الطناحي اتهامه لرشيد رضا بالقول: انه استولى على الكثير من آرائه وامتنع بأن له الحق في طبعها وشرحها والزيادة عليها دون احد غيره من تلامذة الإمام، الا انه يعود فيقول: الا ان واجب الانصاف يدعونا الى ان السيد محمد رشيد رضا حفظ لنا جانبا غير قليل من حياة الإمام، لولاه لضاع الكثير منها، ولنسي الكثير من آثاره.

ويضيف الطناحي: وليس عليه ـ وقد كان كاتبا عصاميا، وناشرا عصاميا ـ ان يقدم لنا حياة الإمام تقديما كاملا مخدوما من جميع جوانبه، وخصوصا ان حياته حياة ضخمة متعددة الجوانب، واسعة الأفق، وحسبه ما قدم لجيله من مجهود.

تنتقل المقدمة بعد ذلك الى منطقة اخرى في حياة الإمام وهي الجوانب الوطنية غير ان الطناحي يقول ان رشيد رضا اجمل في هذا الجانب وحاول ان يدافع عن اشتراك الإمام في الثورة العرابية، حيث كان هو مواليا لأسرة محمد علي ومدافعا عن الخديوي توفيق ومنتقدا لأحمد عرابي وصحبته، وغير موافق على ثورته، وينقل الطناحي عن احد الصحافيين في ذلك العصر كتب عن الثورة العرابية بمناسبة العفو عن زعمائها المنفيين في جزيرة سيلان، وأسند للإمام انه كان احد أركان هذه الثورة فانبرى له رشيد رضا وكتب مقالا في مجلد المنار عام1901م وكان خديوي مصر في ذلك الحين هو عباس حلمي الثاني، فدافع عن اشتراك محمد عبده في الثورة العرابية، وينقل عنه الطناحي قوله: عرض هذا الصحافي المتحذلق بذكر الفتنة العرابية، ويعرف المتهورين فيها والناصحين لهم بالاعتدال، فهو لا يعرف ولا يجب ان يعرف، فاذا أحب أن يعرف، فليسأل العارفين، وليراجع كتابه الكاتبين وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين، فيظهر له ان هذا الرجل الكبير العقل، السديد الرأي كان ينتقد اعمال عرابي وتهوره في جريدة الوقائع الرسمية في القسم الأدبي، على حين ترتعد فرائص قصر الخديوي من عرابي، وعلى حين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار رياض باشا ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها، ويسمع من اتباعه ما يكره، ثم تظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم في زعماء الثورة العرابية عندما ألزموه حضور مجتمعهم، وأن يقوم فيهم خطيبا.

ثم يذكر السيد رشيد رضا ان موضوع الخطبة ـ حسبما نقل الطناحي عنه ـ كان معارضا كل المعارضة للثورة العرابية وزعمائها.

وهنا يعلق الطناحي بأن الثورة التي تكلم عنها السيد رشيد لم تكن وقتئذ قد بدأت بدءا جديا أو اشتركت فيها الأمة اشتراكا فعليا، وكان عرابي ما زال برتبة أميرالاي حتى انه بعد سقوط وزارة رياض باشا وتولي محمد شريف باشا الوزارة، نقل هو وفرقته الى رأس الوادي بالشرقية، وكانت الثورة ما زالت في دور التكوين.

ويضيف الطناحي ان الشيخ محمد عبده وقتئذ كان من أعلام الكتابة وقادة الرأي في مصر، اذ كان رئيسا لجريدة الوقائع الرسمية، وكان يكتب قبل الثورة العراقية، ومنذ تعيينه محرر في هذه الجريدة عام 1879م، مقالات وطنية وادبية واجتماعية ودينية، وكلها تهدف الى الاصلاح القومي ونشر الحرية ومعارضة الظلم والاستبداد، وكان يهدف في كل مقالة الى رفع مستوى الامة، ويضيف الطناحي: ان الإمام كان ينتقد رجال الحكومة انتقادا كان من اهم اسباب سقوط وزارة نوبار باشا، وكان رجال الجيش وسائر المتعلمين في الامة يرونه الرائد الاول ليقظة البلاد بعد خروج جمال الدين الافغاني من مصر بأيدي الخديوي توفيق وأعوانه ويستعرض الطناحي بعض مقالات الإمام في هذه الفترة وينقل عنه في مقال شهير كتبه تحت عنوان ـ الشورى والقانون ـ ويقول فيه الإمام: ـ ان استعداد الناس لأن ينهجوا منهج الشورى غير متوقف على ان يكونوا متدربين في البحث والنظر على أصول الجدل المقرر لدى أهله، بل يكفي كونهم نصبوا أنفسهم وطمحت أبصارهم للحق وضبط المصالح على نظام موافقة لمصالح البلاد، وأحوال العباد.

ومما تقدم سرده، تعلم ان اهالي بلادنا المصرية دبت فيهم روح الاتحاد، وأشرفت نفوسهم منه مدارك الرأي العام، وأخذوا يتنصلون من جرم الاهمال، ويستيقظون من نومة الاغفال، وقد مرت عليهم حوادث كقطع الليل المظلم.

ويرى الطناحي أن مقالات الإمام محمد عبده كانت من بواعث الثورة من تلامذة الأفغاني الذين أسسوا حزبا يطالب الخديوي اسماعيل بالتنازل عن الحكم ويطالب بالاصلاح وقد سعى الإمام لدى محمد شريف باشا ـ حسب الطناحي ـ لكي يقنع اسماعيل بالتنازل وينتقل الطناحي مرة أخرى جزءا من مقال للامام تحت عنوان ـ الحياة السياسية والوطن والوطنية في تشرين الثاني (نوفمبر) 1881 وقبل احتدام الثورة بعد موافقة الخديوي على طلب العرابيين وصدور قانون مجلس النواب يقول الإمام: الوطن في اللغة محل الانسان مطلقا فهو والسكن بمعنى: استوطن القوم هذه الأرض وتوطؤوها أي اتخذوها سكنات وهو ثمن أهل السياسة مكانك الذي تنسب اليه ويحفظ حقك فيه ويعلم حقه عليك وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك ومن أقوالهم فيه: لا وطن الا مع الحرية وقال لابروير الحكيم الفرنسي: لا وطن في حالة الاستبداد ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين المكان الذي فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية.

ويرد الطناحي الفضل للامام في هبوب الثورة العرابية بسبب ذلك البعث ـ حسب قوله ـ الذي نشأ من مقالاته وآرائه التي أثرت في الأزمة ما بين عسكريين وغير عسكريين وما بين فقراء وأغنياء وكذلك يذكر الطناحي ما قام به الإمام من مساعدة العرابيين بعد أن انضموا الى الأمة وانضمت الأمة اليهم واتحد الجميع على الحرية والخلاص من الظلم والاستبداد. ويذكر الطناحي أنه لكل هذه الأسباب كان الإمام في مقدمة الزعماء المقبوض عليهم وحُكم عليه بالنفي ثلاث سنوات خارج مصر فاختار لبنان كمنفى له وجرد حينها من وظيفته.

ولم يقتصر طاهر الطناحي على الوقوف في هذه المذكرات أمام الثورة العرابية بل جميع كتاباته الوطنية وآرائه في محمد علي واسماعيل وتوفيق وما كتبه بالتفصيل عن الثورة العرابية وأسبابها وقد قام الطناحي بتحقيق ذلك وشرحه وعلق عليه تعليقا علميا وتاريخيا دقيقا.

ويذكر الطناحي أنه كان قد مضى على الشيخ محمد عبده ثلاث سنوات في طلب العلم بالجامع الأزهر حين وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغاني وكان قد أصاب منذ التحاقه بالجامع الأحمدي حتى حضور الأفغاني حظا غير قليل من قراءة العلوم العقلية والنقلية على الشيخ محمد بسيوني وغيرهم من العلماء ثم استقل بدراسة علوم اللغة والفلسفة والمنطق والتوحيد ووجهه توجيها اجتماعيا وأدبيا ووطنيا وسياسيا واسلاميا جديدا وظهر ذلك فيما بعد في كتاباته وردوسه وجهاده السياسي والاسلامي.

يقع الكتاب في عشرة فصول تبدأ بتقديم مطول ومسهب لطاهر الطناحي، ثم المذكرات والعهد الجديد، وزارة رياض باشا، حكومة توفيق، الثورة العرابية، مجلس النواب، اسباب الحادثة، سفر عرابي الى رأس الوادي، مندوب السلطان، ضرب الاسكندرية، والإمام في السجن.

يقع الكتاب في 173 صفحة من القطع الكبير، ويترأس تحرير السلسلة التي اصدرته الكاتب والناقد رجاء النقاش.

قصائد شعرية لغيفيك

ترجمة : رجاء الطالبي

ينبني الفن الشعري عند غيفيك على فكرة أن الكلمات تكسو الإنسان وبدونها فهو عار في مواجهة العالم ومواجهة نفسه.
يكتب بكلمات بسيطة قصيدة قصيرة، وبجدة لا يمكن تعويضها. يحفر في المادة الشعرية التي تمكننا منذ البدء من سكنى العالم بشكل أفضل. مع غيفيك نكون قلب بساطة أساسية. ان نسكن العالم شعريا يجعل المحسوس والمفكر فيه كمادة للغة والكلمات كأدوات لمقاربة القصيدة و«نحت الصمت».

[1]

قصيدتي
ليست شيئا يطي
ويشق الهواء.
إنها لا تعود من السحاب.
في بعض الأحيان
تطير للحظات
قبل أن تذهب للالتحاق
بالأعماق الأرضية.

[2]

قصيدتي
تتحدث عن عمق أعماق
الأرض التي تريدها
تكشف كيف
تتكوم الأرض
لتطمئن.

[3]

عندما تأتيك القصيدة
لا تعرف من أين ولا لماذا،
كما لو حط عصفور
في راحة يدك،
فتنحني،
تتدفأ بجسده.
يمكننا أن نذهب أيضا
في البحث عن العصفور.

[4]

هناك ثقب
في الغيمة
يشغل السماء

وهذا يعطيني
الرغبة أكثر
لكتابة القصيدة
التي تبحث من خلالي

[5]

لا نضجر
نحن الاثنين
لدينا اشياء كثيرة
لألا تقال
مثل البحر
والمد
وسؤال الحاجز
كندم
اسمح لي
ان اقول لك بم افكر
إنه امرأة.
الصمت
هناك
ما يكتشف
اذن.

[6]

مثل جدول
يجري فوق الحصاة
نحو النبع
هو النشيد

إنه وعد
النبع للشمس
يفتح
النشيد
فضاءاته
خارج
الفضاء

[7]

يوسع
النشيد
ويركز
الفضاء
الذي يستسلم له
يقول ما ينقص
حينما يغيب
أين
يذهب بنا النشيد
إنا لم يكن إلى الخارج
عن هنا
حيث نجهل أين
الخارج المحدوس
كمشتهى

[8]

الشمس التي تغرب
يمكن أن تتلون بألوان شتى
تجعلنا نظن
أنها ليست سوى شمس ميتة
لا مجال للمقارنة
بالنسبة للقصيدة

تصرخ القصيدة دائما
إنني أحيا خذوني
ولتعلموا
أنني لن أنتحر
أنا ثقب في الشبكة
يحدثه الموت في كل مكان.

[9]

أنظر وأبصر
شيء ما يحدث
فجأة
يهاجم
ما أرى
يقصيه ويقربه
يغرقه ويرفعه
ألمس بدون لمس
شيء ما يغويني دون أن يقترب مني.